العدد 12A مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية شبـــاط 2026
No. 12A Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences February 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

الوصف المكاني في رواية إنها لندن يا عزيزتي لـ (حنان الشيخ)

م.د. حازم سالم ذنون
مديرية تربية نينوى
ghazem76salem1976@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن فاعلية الوصف المكاني لرواية (إنها لندن يا عزيزتي) باعتباره مكوناً من مكونات السرد الروائي في الراوية الحديثة، حيث يقوم بدور فعال في تشكيل البناء والدلالة، التي تعد روايتها هذه علامة فارقة في استخدام الوصف المكاني كتقنية روائية في الرواية العربية حيث يقوم الوصف المكاني بالدور الأعظم في تشكيل أدبية النص، وقد حاولت في هذه الدراسة بيان أثر هذه الهيمنة في تشكيل العمل ودلالته وكيف تم ذلك، إن بعض الأمكنة لها خصوصياتها التي تجعلها مادة أساسية في العمل الإبداعي ومنها (لندن والنجف ودبي) لذلك وجدنا لهذه الأمكنة حضوراً كبيراً فكان (الوصف المكاني لحنان الشيخ) في هذه الرواية عالمًا خاصا بها لبناءِ فضاء عالمها الخاص الذي تراه، وقد كانت غايتنا تمكين القارئ من معرفة أبعاد الوصف المكاني وما يتصل به من ملابسات، ونقطة انطلاق لتحريك خيال القارئ، واستكشاف الأمكنة الروائية.

الكلمات المفتاحية: الوصف، المكان، انها لندن يا عزيزتي، حنان الشيخ

Spatial description in the novel It's London، My Dear، by Hanan Al-Sheikh

Dr. Hazem Salem Thanoun
ghazem76salem1976@gmail.com

Abstract:

This research seeks to reveal the effectiveness of spatial description in the novel (It's London, My Dear) as a component of narrative in the modern novel, as it plays an effective role in shaping the structure and meaning. This novel is a milestone in the use of spatial description as a narrative technique in the Arabic novel, where spatial description plays the greatest role in shaping the literary quality of the text. In this study, I have tried to show the effect of this dominance in shaping the work and its significance and how this happened. Some places have their own characteristics that make them a basic material in creative work, including (London, Najaf, and Dubai). Therefore, we found that these places had a great presence, so it was (Hanan Al-Sheikh's spatial description). In this novel, she has her own world to build the space of her own world that she sees. Our goal was to enable the reader to understand the dimensions of the spatial description and the circumstances related to it, and to provide a starting point for stimulating the reader's imagination and exploring the fictional places.

Keywords: (description, place, it's London, dear, Hanan Al Sheikh)

قام البحث على مدخل ومبحثين، تضمن المدخل تحديد مصطلحات البحث وهي (الوصف / المكان) لوضع آلية التصوّر الذي نقيم عليه الدراسة، وجاء المبحث الأول لدراسة الوصف المكاني لـــ (المنزل والبيت والشقة) في حين خصص المبحث الثاني لدراسة الوصف المكاني لـــ (لندن ودبي والنجف)، وقد ضم المبحثين علاقة المكان الخيالي بالواقعي، وكذلك تأثيره على الشخصيات وتأثرها به، وإن علاقة الوصف بالمكان علاقة جدلية حيث لا يسعها أن تتمظهر على نحو سليم، ومتكامل مِنْ غير الاعتمادِ على فعالية

الوصـف في بنائها، باعتبار الوصـف بورة وتقنية مركزية لا يمكن الاسـتغناء عنها، أو التقليل من أهميتها داخل العمل السردي تحت أي ظرف وأية ذريعة كانت.

مدخل لتحديد مفاهيم ومصطلحات البحث:

يُعد الوصـف من أهم التقنيات التي يبنى عليها الفعل السـردي في الرواية، فهو يقوم مقام العمود الفقري من هيكل النص كما يعطيه الاسـتقامة والاعتدال، والسـرد في حقيقته ما هو إلا وصـفاً لأحداث ووقائع يتخللها الحوارات في إطار زمني ومكاني [1]، ولأهمية الوصـف المكاني الذي نحن بصـدد دراسـته في بحثنا، فانه يدخل في كل الأجناس السـردية، فلا يمكن الاسـتغناء عنه، بل إنك تجد هذا الوصـف بكل أنواعه يتبوأ فيها المنزلة البارزة [2]، ويأتي الوصف في أغلب أشكاله غير مستقل بنفسه وإنما جزاء من عملٍ متكامل [3].

يُعرف الوصف Description: بأنه " الخطاب الذي يسمُ كل ما هو موجود، فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسقٍ الموجودات المتشابهة له أو المختلفة عنه" [4]، وهو الكشف والإظهار للصور بوساطة الألفاظ، أما حده أدبيا فهو " نقل صـورة العالم الخارجي، أو العالم الداخلي من خلال الألفاظ والعبارات والتشـابيه والاستعارات التي تقوم لدى الأديب مقام الألوان لدى الرسام والنغم لدى الموسيقي"[5].

ويعرف الوصف كذلك بأنه " إنشاء يراد به إعطاء صورة ذهنية عن مشهد أو شخص أو إحساس أو زمان للقارئ أو المستمع، وفي العمل الأدبي يخلق الوصف البيئة التي تجري فيها أحداث القصص" [6].

ومن خلال هذه التعريفات يتضح أن الوصف من الناحية اللغوية يعني الإظهار والإيضاح، وأدبيًا هو رسم الأشياء بوساطة اللغة وهدفها التأثير في المتلقي وفتح أفق إنتاج نص أخر عبر المتلقي/ القارئ.

وقد نظر النقاد الأوائل إلى الوصـف بان أسـلوبه " مسـتقل بذاته وان وظيفته زخرفية، ويؤكد (بوالو) قيمة الوصف في تناوله للقصيدة القصصية:

كونوا سريعين عجلين في سردكم وكمنوا أسخياء مسرفين في وصفكم"[7].

وقد أدرك النقاد كذلك قيمة الوصـف ووظائفه التي تؤثر في المتلقي/ القارئ كما يؤدي الوصـف وظيفته الزخرفية، والتصويرية والتفسيرية، والإيهامية التي تخدم بصورة مباشرة تطور الحدث، وتكامل الوحدة العضوية للعمل الأدبي.

ومن هنا وجب البحث في عملية التأويل النص الوصفي لإظهار هذه الأغراض الوصفية للأمكنة، ومحاولة تقريب الصـورة للقارئ ليشـترك من خلالها في بناء معنى آخر " يصـبح تأويل قيمة أسـاسـية في مشـاركة القـارئ في بنـاء معنى النص الأدبي وجعل النص منفتحـا على الـذات القـارئـة من نـاحيـة، وعلى البعد التاريخي وسـياقات الاجتماعية والثقافية من ناحية أخرى"[8] وبذلك سـنحاول الكشـف عن هذه الجماليات عبر مقاطع الوصـف الموجودة في رواية بحثنا وذلك بالتطرق إلى وصـف المكان وإلى التداخل الوصـف مع الحكي؛ على أساس أن أغلب مقاطع الوصف في هذه الرواية قد تناولت هذه العناصر.

وصف المكان

المكان مثله مثل باقي العناصر السردية، فهو أهم المكونات التي يهتم الوصف برصد تفاصيلها وجزئياتها، وهو الأداة التي بواسطتها يتشكل وينشأ الفضـاء الروائي، وعليه فقد" اهتمت الرواية الكلاسيكية والحديثة بالمكان، فعملت على توظيف عليه ملامح شـخصـياتها الذاتية، فضـلا عن السـمات الجمالية والعواطف الإنسانية التي تعتني بالتجارب الاجتماعية والسياسية والتي لولاها لما اكتمل العمل الفني "[9]، فالمكان لغة هو" الموضـع، والجمع أمكنة إن اسم المكان هو اسم مشـتق للدلالة على مكان وقوع الفعل"[10]، إذ يرتبط المكان في رسم تفاصيله باللغة حي يرسم المكان بواسطة اللغة المكتوبة هي السبيل الأكثر انتشارًا في الفن الروائي، وإن روائيين كثيرين استنكروا استبدال وصف الأمكنة ووصف الأشخاص بصورة فوتوغرافية، أو بواسطة الفن السينمائي، وبقيت اللغة التعبيرية هي السبيل الأبرز لهذا الوصف وإن لم يكن الوحيد الذي اعتمد الروائيون في بناء أمكنتهم وفي وصفها أيضا[11]، إن العين الواصفة للمكان أو السارد هي من تصنع

وتخلق كل شـــيءٍ في النص الروائي/ الإبداعي، ويكون هذ الوصـــف المكاني ذا علاقة وطيدة بالأحداث الســـابقة أو الأنية أو اللاحقة في النص، وإن عملية وصـــف الأمكنة ليســـت عملية اعتباطية وإنّما تنبع من قصدية الكاتب/ المبدع الذي يسعى إلى تحقيقها عبر سياقها في النص، ومن اجل تشكيل الفاعلية المحركة للسرد الروائي، والوصول إلى دلالات مكانية مقصودة في النص عبر القارئ / المتلقي.

لذا تعد أمكنة الروائي، من العلامات الدالة على أســـلوبه في الكتابة. فثمة أمكنة معينة ترافقهم في جلِّ رواياتهم، ولهم أسلوبا خاصـا في تقديم المكان وما يتعلق به؛ ويغدو الوصـف المكاني هنا، هوية تمتاز بها هذه الروائية، فإن الكتاب يتفاوتون في مدى احتفالهم بالأمكنة، والوصـف المكاني بشـتى صـوره ضـرورة من ضـرورات العمل الروائي، ولكن حنان الشيخ تحرص على اتخاذ البـــؤرة المكانية مسرحًا لأعمالها، فنجدها متكررة في جلِّ رواياتها [12]، إن الوصـف المكاني يتوقف على رؤية الكاتبة وما تريد إيصـاله إلى القارئ/المتلقي.

المبحث الأول (وصف المنزل/ البيت /الشقة)

وهو المكان الذي نعيش فيه ونشـــعر بالدفء والحماية إذ يشـــكل هذا المكان مادة لذكرياتنا ويعد البيت ولاسـيما بيت الطفولة أشـد أنواع المكان ألفه [13]، إذ أن "حقيقة المكان نفسـية وليسـت موضـوعية "[14] فالمكان الأليف هو الذي يترك أثراً جميلاً محبباً إلى النفس ، فالإنســـان يشـــعر معه بالألفة والارتباط به ، وبوصـفة مكاناً للحياة ومكاناً للصـبا والشـباب فمثلاً " البيت الذي ولدنا فيه، ومارسـنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا "[15]، فهو المكان الاختياري الذي يحمل صـفة الألفة وانبعاث الدفء العاطفي، ويسـعى لإبراز الطمأنينة، والحماية في فضـائه لهذا تسعى الشخصية إليه بإرادتها من غير قيد أو ضـغط يقع عليها، فاختيار المكان يكون بالإرادة لا بالإجبار والإكراه كالبيوت والشقق وغيرها[16].

يتشكل البيت أو مكان الإقامة في النص الإبداعي بحسب الشخصيات وطبيعتها، وعلاقتهم بالواقع ونظرتهم الشمولية، في حين تكون العلاقة عكسية مع الواقع فان البيت/ الشقة تصبح رمزاً لكيان الشخصية المهدد بالعجز والإحباط والفشـــل، وعندما يكون البيت مكاناً أليفا للإقامة فهو مكاناً للمســـرات، ورمزاً للانفتاح والانســـجام مع الواقع المعاش، كما يعكس هذا الشـــعور والحس المكاني للشـــخصـــية فهو يرمز إلى عالم الشخصية الداخلي وعلاقته بالعالم الخارجي والأثر المتبادلة بين الاثنين لتصبح العلاقة جدلية بين البيت، والواقع المعاش [17].

فنجد " مـــــــــن بين الروائيين من يميل إلى الفضاءات المغلقة التي يَحبسُ فيها شخصياته بحيث لا تبرح مكانها، وذلك سعيا وراء تعميق حياتها الداخلية وعدم الدفع بها إلى المغامرة في الخارج، وعلى العكس من ذلك هناك شـخصـيات تكون كل الفضـاءات متاحة لها، تقيم فيها أو تخترقها"[18]، فمن الكتاب من اتخذ من سجنٍ أو غرفةٍ مظلمةٍ ضيقةٍ مسرحًا لروايته، وهي إشارة سيميائية تدعو القارئ إلى تفكيك دلالتها، والتنبؤ بطبيعة الشـــخصـــيات والأحداث التي ســـتقابلها، إذ نتوقع أن تكون كائنات معطلة عن الحركة غائبة عن التواصـل مع عالمها الخارجي. ومن هنا يكون الوصـف المكاني دور أسـاس في حمل رؤية خاصـة بحنان الشيخ في اختيار الأوصاف، والأمكنة التي تناسبها فـــ " الانغلاق في مكان واحد دون التمكن من الحركة تعبير عن العجز، وعدم القدرة على الفعل أو التفاعل مع العالم الخارجي، أي مع الآخرين، بل يضـــيق المكان الحابس فيصـل إلى مجرد غرفة، فنجد الشـخصـية حبيسـة غرفتها لا تستطيع أن تبرحها"[19]، مهما تغير الظروف من حولها.

نجد تأثر الوصـف المكاني على الشخصيات الروائية، فقد جاء الوصـف المكاني بحسب الحالة النفسية لهذه الشـخصـيات ومدى التأثر والتأثير للأمكنة عليها، وسـنعمل على تقديم إضـاءات أولية لأمكنة حنان الشيخ، فـــ" **عاشت معه في هذه الشقة في السنوات الأولى من زواجهما ...وبقيت هذه الشقة طوال هذه السنين مهجورة إلا من الضيوف...الأشياء المألوفة من حولها تحرك فيها مشاعر الضياع والخسارة**"[20]، إن أول ما يلفت انتباهنا في هذا المقطع أن الراوي اسـتطاع أن يمرر عدة أفكار ومواصـفات للغرفة/ الشـقة، بانفتاحه على عدة دلالات ســلبية والإيجابية؛ فالإيجابية أنهما عاشـــا في الشـــقة في بداية زواجهما، ولكن

الوصف المكاني للشقة تغير إلى دلالة سلبية بعد الانفصال عن زوجها حيث بقت الشقة مكانا مهجوراً، إذ اصبح هذا المكان والأشياء التي حولها تمثل مكانا للقهر والضياع، والخسارة والاستبداد الممارس على الأنثى، وهو ما يدل على أن الغرفة، انعدمت فيها الحياة الزوجية وبذلك فإن الوصف يأخذ هنا نوعا من البعد في الرؤية الحقيقية إذ يشكل الواقع بجميع معطياته المكانية، فنجد أن التلاعب بصورة المكان في الرواية يمكن استغلاله لإسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للشخصيات على المحيط الذي يتوجدون فيه[21].

ومن جانب آخر يأخذ الوصف بعدًا زمنيًا للمكان (**وبقيت هذه الشقة طوال هذه السنين مهجورة**)، إنَّ الشعور المتبادل بين المكان ولميس حيث تشعر بالخسران والضياع والهجران والقهر، لذلك جاء الوصف للمكان بـــ(المهجور) حيث يتعلق الوصف بالراوي في حد ذاته حيث أسقط ما يختلج بداخله من أحاسيس ومشاعر لميس بالاغتراب والاضطهاد، والقمع الذكوري من قبل اقربِ الناسِ إليها مما حول هذا المكان ليصبح حاملًا قيمةً شعوريةً متباينة بينه وبين شخصياته الروائية، كما نجد ذلك في نصها " **سرعان ما تنجح الشقة المهجورة في إحباطا لميس، تماماً كما تنجح الشراشف القذرة في تشجيع من يريد الانتحار**"[22]، أما من الناحية الشكلية للوصف المكاني، فإن الوصف المقدم (للشقة) يميل في قالبه الشكلي إلى الاعتماد على الوظيفة الجمالية للغة، حيث يشكل هذا المقطع باقة مشكلة من الصور المركبة والبسيطة للشقة " **تتراءى لها غرفته في البيت، تحن إليها، تحن إلى البيت...تفتح خزائنه الواسعة وتتمتع بجمال الألوان والأثاث والبارك والبحيرة**"[23]، وبهذا فإن الطابع الجمالي لهذا الوصف واضح شكلًا ومضمونًا، ذلك أن وصف المكان هنا لا يحاول أن يقدم لنا صورة محددة عنه، بل يحيلنا إلى فضاء ذهني يحتفي بالصفة الظاهرية للمكان، ووظيفة التخيلية، إنّ هذه المقطع تحمل في دلالات ورموز في طيات لغته، تارة نشعر أن هذا المقطع هو وصف الغرافة، وتارة نشعر أنها جملة من رسائل مشفرة يرسلها الراوي للمتلقي/ القارئ ليخبره أمورا كثيرة يريد إيصالها عبر الشخصيات إلى المتلقي.

كما نجد إن الوصف المكاني (للشقة) يأتي بصيغة أخرى لتجسد سيمياء اللذة والرغبة واقتحام خصوصية الشخصيات عبر أمكنة اللذة والمتعة، فمرة في خزانة الملابس غرفة النوم "**هل نذهب إلى شقتي؟ سأريك الخنجر الذي اشتريته.**

ارتاحت أوصالها، رغم استغرابها أن يستعمل الإنكليز أيضا هذه الحيلة"[24]، إن دعوى لميس لزيارة (شقة نيقولاس) ما هي ألا دلالة على رغبته في قضاء المتعة اللذة بينهما، وقد نجد وصف أخر لشقة لميس التي لا تستطيع تركها فهي المكان الذي تتذكر في كل جزاء منه ابنها، وهي تشعر أحيانا بانه سجنها الذي تعيش فيه " **ولكنها راحت تعترف لنفسها يوما بعد أخر أن هذا البيت هو سجنها** "[25]، إن هذا الوصف المكاني لهذه الأمكنة إنّما يوحي بالاغتراب المكاني التي تعيشه شخصيات حنان الشيخ وهو اغتراب يعيشه العربي داخلَ وطنهِ وبيتهِ ومخدعهِ.

وتقدم لنا حنان الشيخ في روايتها وصفًا مكانيًا لتعريب المكان عبر تأثير الشخصيات فيه، فمثلاً شخصية (أميرة المغربية) التي عربت المكان/ الشقة " **رائحة الطعام غير الإنكليزي تتصاعد من مدخل بناية أميرة. شقة أميرة تنقله إلى عُمان، إلى البيوت المعروفة بستائرها المسدولة دائماً، وكأنَّها شيّدت بالإسمنت، تقف أميرة بكامل زينتها**"[26]، نجد الوصف المكاني لشقة أميرة التي حولته إلى مكان كانت تعيش فيه في عُمان ونقلت تقاليدها العربية إلى شقتها التي تسكن فيها، وهو ما اثأر انتباه شخصية الطيار الإنكليزية نيكولاس حيث جعلت أميرة من شقتها مكانا تتلقي فيه الثقافات بين الشرق والغرب من خلال أسلوب في الطبخ العربي الأصيل الذي يحمل النكهة العربية العُمانية.

المبحث الثاني (وصف لندن ودبي والنجف)

تكشف لنا هذه الأمكنة في وصفها الإبداعي عن الحالةِ النفسيةِ التي تعيش فيها الشخصيات وصف الأمكنة إذ تصف لميس لندن بـــ " **بان لميس تعيش كأميرة تسكن بناية يسكنها اللورد الذي زارته الملكة**"[27]، نجد أن حنان جعلت من لندن بورةً مركزية للأحداث في روايتها فلندن ليست المدينة التي نعرفها إنَّما هي المدينة التي ترسمها حنان لشخصياتها العربية في الرواية فقد وصفت لندن كما تراها شخصياتها وما

تعانيه من الغربية والاغتراب، إذ جعلت شـخصـياتها جزء من المكان (أميرة ولميس وسـمير) لتشـعر القارئ/ المتلقي إن فكرة أساسية تسيطر على اغلب الرواية وتفاصيلها " **يافطات باللغة العربية، ادخلوا تجدوا ما يسـركم. نتكلم العربية إزالة الشـعر بأحدث الطرق، مقهى مون لايت، ضـوء القمر، مَروش، عصـير رنوش، بيروت اكسـبريس، مخزن الأنيقة، عرب بدشـاديشـهم البيضـاء والعباءات السـوداء أو الملابس العصـرية...وتشـتري لنا كعكة بالزعتر**" [28]، يحمل الوصـف المكاني دلالات عدة، إن هذه الشخصيات جعلت من لندن مكانا قريبا مِنْ الذين يحبوهم ذواتهم، فقد نقلوا إلى مكان إقامتهم الجديد (لندن) الذي سـكنوه، عاداتهم ولغتهم وألبسـتهم وطريقة صـنع الطعام الذي تهفوا إليه انفسـهم، وهو ما جعل هذه الشخصيات تعتاد زيارة هذه الأمكنة التي تذكرهم بأوطانهم التي غادروها لأي سبب، يُسهم هذا الوصف المكاني في خلق المعنى الإيجابي أو السلبي، ويحول المكان إلى أداة للتعبير عن مواقف الأبطال من العالم حولـه[29]، إن هذا الوصـف المكاني الذي نراه في هذا النص يخبرنا عن البيئة التي عاشـتها بعض الشخصيات، وطريقة عيشها وتفكيرها وغيرها من الأشياء التي تساهم في نمو الأحداث.

وقد يكون الإنكليزي صـاحب المكان غريبًا عن مكانه بسـبب التغيير الذي يطرأ على المكان " **يبحث عن شاب إنجليزي أشقر بين عشرات الرجال كانوا من العرب... كان تصور أنه ما إن تحط الطائرة في لندن حتى يرى صفوفا من الشباب الإنكليز**"[30]، إن هذا الانقلاب في الوصف المكاني لمدينة لندن جاء بعد أن شرع الإنكليزي بالبحث عن زميلًا له في شارع لندني، حيث كانَ يشعر بأنه غريب عن هذا المكان المكتظ بالعرب الغرباء، وهو كانَ يتصور أنه عندما يصل لندن سيجد الشباب الإنكليز مثل سنابل القمح الذهبية التي تتموج بسراويل حمراء وجلدية منتشرين في أرجاء المكان، فيصبح صاحب المكان الإنكليزي نادرًا وغريبًا بين الغرباء العرب عن مكانه.

وفي نص روائي أخر تصـف لنا لندن من جانب أخر هو الإحسـاس بالغربة والعزلة " **أيقنت أنها تعاني الوحدة التي يتحدثون عنها في الغرب**"[31]، إن أول ما يلفت انتباهنا في هذا المقطع الوصـفي أنه على الرغم من قصـر وتيرة الوصـف فيه، إلاّ أن المبدعة اسـتطاعت أن تمرر عدة أفكار، ومواصـفات لمدينة (لندن) فأشارت إلى عدة دلالات ورموز تحمل معاني سلبية وإيجابية، من ذلك العبارات الإيجابية إن لميس كانت تعيش كأميرة في لندن حيث تسـكن في مكان زارته الملكة يوما ما، هو دلالات على أهمية المكان التي تسكنه لميس، ومن جانب أخر إشارة إلى الجانب السلبي الذي يحتويه المكان بوصفه مكانًا سلبيًا لا يحمل روح الحياة، إنها تعيش في هذا المكان بوصـفة منعزلا، إذ تعاني الوحدة الانعزال في هذا المكان ألا وهو لندن، إن هذا الوصـف المكان ما هو إلا وسـم لكلّ ما هو موجود، فقد أعطاه الراوي تميزه الخاص داخل نسق الموجودات المختلفة عنه، والمتشابهة له، فقد أصبحت عملية وصف الأمكنة المختلفة دلاً على تعارض واختلاف أنماط الحياة للشخصيات، واختلافها الفكرية والعقائدية التي تحملها.

ومن جانب أخر تتحدث لميس عن أحلامها في هذا المكان الذي طالما كان حلمها فقد حاولن التماهي مع المكان الذي سيكون يوما ما مكانها الأليف التي تركن إليه، ولتصبح واحدة من أفراده " **هذا البلد سيصبح بلدي، لم اعد أعيش فيه مؤقتة. أولاً: أتيت إلى لندن لتوي واسـكن في فندق، ثانيا: البحث عن شـقة للإيجار...ثالثاً: إتقان اللهجة الإنكليزية...رابعاً التعرف إلى أصدقاء من الإنكليز...عليّ التوقف عن الطعام العربي**"[32]، ونجد في نص أخر التحول للعيش في المكان والتقرب منه وهي محاولة من الكاتبة لبيان الوصف المكاني، ومدى تأثيره على الشخصيات الروائية ومنهم لميس التي كانت تحلم بالعيش في مكانها الجديد، فقد أبدت الاسـتعداد للانخراط في المجتمع اللندني، ولتصـبح واحدة من أفراده، وتبدا حياة جديدة بكلّ تفاصـيله التي سـتعيشـها في مكانها الجديد، إذ صـرحت أن لندن لن تكون مكانًا للإقامةِ المؤقتةِ وإنّما ستصبح بلدها، وستبحث عن مكان دائم للإقامةِ، وستقن اللغة الإنكليزية وهي الخطوة الأولى للانخراط في المجتمع اللندني، وتتعرف على أصـدقاءِ إنكليز لكي تكتسـبَ شـخصـية جديدة تتماهى مع المجتمع الجديد الذي تفكر العيش فيه، وسـتترك تناول الطعام العربي الذي يذكرها بوطنها ويمحها الأمان والطمأنينة، فشخصية لميس شأنها شأن كل شخصيات الرواية، فهي نموذج عربي مأزوم يبحث عن الخلاص عبر علاقته بالآخر، وقد اكتشـفت لميس أن تجربتها مع الآخر الغربي محض وهم وخيال، ناتج عن التهميش

والاغتراب ومن الصـــعوبة تجاوز الخلاص من ثقافتها وهويتها وصـــعوبة الاندماج في المجتمع العربي، وهي تسعى لفهم ذاتها وتحقيقه[33].

أما مدينة (دبي) رواية (إنها لند يا عزيزتي) التي جاء الوصـف المكاني لها فقد شـكل معطفًا أخر للروائية فـ(دبي) في الرواية ليست نفسها المدينة التي نعرفها، وإنّما هي نسج من خيالها، فاذا " **بدبي تتبدل، لم تعد البلد الذي تنفســت فيه لميس نســيم الحرية ما أن حطت في مطارها**"[34]، يأتي الوصـف المكاني لمدينة دبي بعد طلاق لميس من زوجها ومغادرتها لـــــ(لندن) ظنّا منها أنها ســتلجأ إلى مدينة الانفتاح العربي والحرية والتي ستتنفس فيها نسيم حرية الأنثوية التي تحررت من سلطة زوجها الذكورية، ولكنَّها لم تكُنْ تتوقع أن الأنظمة والقوانين قد تغيرت فيها، لتعودا أدراجها إلى لندن ولتنسى ماضـيها ولغتها، كما اسـلفنا سـابقًا ولكنها لم تسـتطعْ قطع صـلتها بالماضـي وبوطنها عندما عثرت على مخطوطة عربية تحمل عمق هويتها العربية التي لا يمكنها التخلي عنها ابدأ مهما تغيرت صـــورة المكان الذي تعيش فيه، ونجد ذلك التعلق من قبل لميس في الأجزاء الأخيرة من الرواية عندما سالت والدها الذي يعيش في (الأهواز) ليحدثها عن ماضـيه " **عندما كنت صـبيا، هل كنت تذهب إلى المدرسـة؟ بماذا كنتم تلعبون؟ هل كان هناك طبيب؟ ...دكان؟ ماذا كنتم تأكلون؟ كيف هي الفصـول؟ باختصـار كيف يعيش الإنســان المحوط بالماء؟**"[35]، إن كلَّ هذه الأسـئلة التي كانت تسـألها لوالدها، إنّما هي لتعلقها بماضـيها واكتشـاف المزيد عن صـورة الحياة والمكان الذي عاشه أجدادها في الأهواز، ويخفق قلبها لمعرفته، إن لميس في هذا المقطع السردي نجدها لا تستطيع ترك ماضيها ولا هويتها العربية، كما انه شعور إيجابي من لميس اتجاه ماضيها العريق في مقابل المكان الجديد (لندن).

ونجد الوصـف المكاني لمدينة (دبي) يحمل عدة دلالات ". **طيب إيه اللي جرى، دي دبي يقولو عنها جنة عدن لازم ما استحملتيش الحر والهباب. صرنا إنكليز ولّلا إيه؟**"[36]، نجد الوصف المكاني لمدينة (دبي) من جهة إنها بوصـفها (جنه عدن) التي وصـفت في القران الكريم من شـدّة جمالها ورعة مبنيها، والأمكنة التي تبدوا كجنةِ عدن، ثم يصـف دبي بالمدينة التي لا تفارقها الحرّ والهباب، فهي تصـف الجمال المكاني عبر الوصـف، ثم تصـف الشـخصـية التي فاحت رائحة العرق من جسـدها من الحرّ والهباب، لتشـبهها بالإنكليز الذين لا يستحمون إلا في المناسبات كما يذكر ذلك تاريخهم[37]، إنّ هذه المفارقة بين دبي والمدن الغربية، إنّما هي علاقة الشـرق والغرب، وعلاقة التحول في المدن العربية الحديثة إلى مدن أشـبه بالمدن الغربية التي فقدت الكثير من القيم والعادات والتقاليد العربية الأصيلة التي تميز العربي عن غيره في شتى بقاع الأرض.

ونجد في نص أخر عن مدينة دبي وصـفًا مكانيًا مغايرًا " **متشـكرة يا افندم متشـكرة خالص... بس يعني عايزه تقولي أنه دبي من بره هالله ومن جوه يعلم الله؟**" [38]، إن هذا الوصـــف المكاني لمدينة دبي إنّما يأتي ليجسـد حالة الأمكنة العربية التي تعيش شـخصـيات الرواية(لميس، أميرة، سـمير...) وهو مثل يطلق على من يخالف طبيعة الحقيقة لهذه الأمكنة ووصـفها لذا جاء الوصـف المكاني لهذه المدينة على أن الناس قد سمعوا عنها شـيء والحقيقة مخالفة للواقع الذي تعيشه، أو أن هذه المدينة كما تراها الشخصيات العربية في الرواية إنّما هي مغايرة للواقع والحقيقة، كما هي حال باقي المدن العربية التي تنادي بالحرية والديمقراطية، وليس فيها حرية لأبنائها ومن يسكنها، فاغلب من يسكنها قد سلبت حريتهم.

أما الوصف المكاني الأخر لمدينة (النجف) فقد جاء الوصف المكاني لهذه المدينة بـــ"**هذه المدينة الخالية من دور الســينما والموســيقى، التي تكـاد تكون محرمـة،...هـذه المـدينـة التي نظم الأذان نومهـا ويقظتها**"[39]، إن كل الأشـياء في هذا العالم تشـكل مكانا، أي ذات امتداد، وبينها وبين بعض مسـافات ولا يتداخل بعضـها في بعض[40]، فللأمكنة في حياة الإنسـان قيمته كبرى ومزيته التي تشـده إلى الأرض، ولا غرو فالأمكنة تلعب دورا رئيسيًا في حياة الإنسان[41]، كما إن للمكان" تأثير كبير في حياة البشر فكل شيء في الحياة إلا ويدور داخل حركة المكان"[42]، يشـكل هذا الوصـف المكاني للنجف بوصـفها مكانا دينيا، وذلك بوسمها بنظم الأذان الذي يصفها بالمحتشمة، الساجدة، الخاشعة التي نظم الأذان نومها ويقظتها، وهو

دلالات على الالتزام الديني من أبنائها وحفاظهم على العادات والتقاليد التي ورثوها، والانغلاق الديني الذي يرفض الثقافة الوافدة على المكان الذي يُعد مكانا دينيا محتفظا بتراثه وأخلاقياته، ونقيض صـــارخ لمدينة (لندن) الإله الذي يأوي إليه الناس من شتى بقاع الأرض ليشبعوا رغباتهم، والتي يزحفون إليها لسدِّ رغباتهم الدنيوية، والتي جاء الوصـــف المكاني لها بالســـافرة، المترفة والماجنة والصـــاخبة[43]، فنجد في الوصفين المكانيين التناقض الثقافي والأخلاقي والديني في كل من (لندن والنجف) وهي الغاية التي تسعى إليها حنان الشيخ لإظهار طبيعة المكان وسكانه.

ويحمل نص أخر الاستذكار المكاني وقيمة الوصف الذي يعد شخصية لميس إلى مكانها التي تركته في العراق (النجف والأهوار) التي طالما كانت ذاكرتها تسترجعها بمساعدة والدها " **كان العود الخشبي هوس والدها الشاب الذي جاء إلى النجف قادما من الأهوار حيث ولد**"[44]، حيث تستذكر وصفها المكاني من خلال التسجيل الذي أرسله لها والدها إليها، ويؤكد والدها لرجال الجمارك انه من الأهوار، وفي مقطع أخر " **ووالدها يؤكد له انه ليس من النجف بل من الأهوار**" وهو تأكيد على الهوية المكانية لشـــخصـــية لميس ووالدها ومكان الانتماء، وتحرص (حنان الشيخ) على براعة تصوير الأمكنة، ومدى تطابق المكان المروي بالمكان الواقعي، فالأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها وتُخضِع في تشكلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع والضيق أو الانفتاح والانغلاق مثل البيت والشقة كما مرّ بنا... حتى أن هندسة المكان الذي تصوره تساهم أحيانا في تقريب العلاقات بين الشخصيات أو خلق التباعد بينهم[45].

خاتمة: إن الأمكنة الروائية ليســت مشــروطة على الدوام بوجود المقاطع الوصــفية للأمكنة المســتقلة والمسهبة في الرواية وإنّما قد تأتي عبر إشارات مقتضبة للمكان والتي غالبا ما تكون غير منفصلة عن السرد ذاته، كما أن حضور الوصف المكاني في الرواية له الأثر البالغ في تحديد مسار الرواية، وتغيير حساسيتنا نحو الأمكنة، وهذا التغيير راجع إلى موقفنا من الواقع، إن هذه الواقفات اتجاه الوصف المكاني من قبل المبدعة حنان الشيخ إنما هو موقف غامض يحتاج إلى تفسير ويؤسس لمشروع فكري.

الهوامش

(1) ينظر: شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، حبيب مؤنسي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، (د.ت): 174.
(2) ينظر: في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 240، الكويت،1998م: 250.
(3) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدثين، تونس، (د. ط)، 1986 م: 406.
(4) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009م: 13.
(5) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م: 294.
(6) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كمال المهندس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت،1984م: 433.
(7) بناء الرواية (دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ)، سيزا قاسم، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004 م:110.
(8) اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، ناصر يعقوب، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 ،2004م: 255.
(9) سردية النص الأدبي، ضياء غني لفته، عواد كاظم لفته، دار الحامد، عمان، الأردن، ط 1، 2010م:30.
(10) جماليات المكان، يوري لوتمان، احمد طاهر حسنين وآخرون، عيون للمقالات، الدار البيضاء-المغرب، (د.ت)، (د. ط): 6.
(11) ينظر: اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، ناصر يعقوب: 247.
(12) ينظر: تداعيات المكان والشكل في أدب نجيب محفوظ، دار النديم، القاهرة، ط1، 1990م: 154.
(13) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 2000م:2/ 99.
(14) التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، دار الثقافة، بيروت،1962م :66.
(15) جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م: 6.

(16) ينظر: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، مهدي عبيدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2011م :47.
(17) ينظر: المصدر نفسه:55 – 56.
(18) بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990م: 36-37.
(19) بناء الرواية (دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ)، سيزا قاسم :107.
(20) إنها لندن يا عزيزتي: 18.
(21) ينظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1991م: 71.
(22) إنها لندن يا عزيزتي، حنان الشيخ، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط1، 2001م: 21.
(23) المصدر نفسه:20.
(24) المصدر نفسه:143.
(25) المصدر نفسه: 197.
(26) المصدر نفسه: 70.
(27) المصدر نفسه:22.
(28) المصدر نفسه:37.
(29) ينظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني: 17-18.
(30) إنها لندن يا عزيزتي: 129.
(31) المصدر نفسه:23.
(32) المصدر نفسه:31.
(33) ينظر: الآخر في الرواية النسوية العربية في خطاب المرأة والجسد والثقافة، نهال مهيدات، عالم الكتب الحديثة، عمان، ط1، 2008م: 50.
(34) إنها لندن يا عزيزتي:17.
(35) المصدر نفسه:335.
(36) المصدر نفسه: 54.
(37) جسمك لا يكذب: أنيس منصور، دار الشروق، القاهرة، ط5، 2002م :57.
(38) إنها لندن يا عزيزتي: 54.
(39) المصدر نفسه: 240-241.
(40) ينظر: مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975م: 196.
(41) ينظر: جماليات المكان، يوري لوتمان، احمد طاهر حسنين وآخرون: 5.
(42) المصدر نفسه: 6.
(43) ينظر: مؤنث الرواية: الذات، الصورة، الكتابة، يسرى مقدم، دار الجديد، بيروت، ط1 ،2005م: 157.
(44) إنها لندن يا عزيزتي: 340.
(45) ينظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني: 72.

المصادر والمراجع

- الآخر في الرواية النسوية العربية في خطاب المرأة والجسد والثقافة، نهال مهيدات، عالم الكتب الحديثة، عمان، ط1، 2008م.
- إنها لندن يا عزيزي، حنان الشيخ، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط1، 2001م.
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 2000م.
- بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990م.
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1991م.
- تداعيات المكان والشكل في أدب نجيب محفوظ، دار النديم، القاهرة، ط1، 1990م.
- التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، دار الثقافة، بيروت،1962م.
- جسمك لا يكذب: أنيس منصور، دار الشروق، القاهرة، ط5، 2002م.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م
- جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، مهدي عبيدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2011م.
- جماليات المكان، يوري لوتمان، احمد طاهر حسنين وآخرون، عيون للمقالات، الدار البيضاء-المغرب، د.ت، د. ط.
- سردية النص الأدبي، ضياء غني لفته، عواد كاظم لفته، دار الحامد، عمان، الأردن، ط 1، 2010م.
- شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، حبيب مؤنسي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، (دط)، (دت).
- في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 240، الكويت،1998م.
- اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، ناصر يعقوب، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 ،2004م.

● مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975م.
● المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م.
● معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدثين، تونس، (د ط)، 1986 م.
● معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كمال المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2 ،1984م.
● مؤنث الرواية: الذات، الصورة، الكتابة، يسرى مقدم، دار الجديد، بيروت، ط1 ،2005م.
● وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009م.

Sources and references

●The Other in the Arab Feminist Novel in the Discourse of Women, the Body, and Culture, Nihal Mahidat, Modern Books World, Amman, 1st ed., 2008.
● It's London, My Dear, Hanan Al-Sheikh, Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, 1st ed., 2001.
● The Artistic Structure in the Arabic Novel in Iraq (Description and Construction of Place), Dr. Shujaa Muslim Al-Ani, General Directorate of Cultural Affairs, 1st ed., Baghdad, 2000 AD.
● The Structure of the Novel Form: Hassan Bahraoui, Arab Cultural Center, Casablanca, 1st ed., 1990.
● The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Dr. Hamid Lahmadani, Arab Cultural Center, 1st ed., Beirut, 1991.
● Implications of Place and Form in Naguib Mahfouz's Literature, Dar Al-Nadim, Cairo, 1st ed., 1990.
● The Psychological Interpretation of Literature, Dr. Izz al-Din Ismail, Dar al-Awda, Dar al-Thaqafa, Beirut, 1962 AD.
● Your Body Doesn't Lie: Anis Mansour, Dar Al-Shorouk, Cairo, 5th ed., 2002.
● The Aesthetics of Space: Gaston Bachelard, translated by Ghaleb Halasa, Al-Jahiz Publishing House, Ministry of Culture and Information, Baghdad, 1980
● The Aesthetics of Space in Hanna Mina's Trilogy, Mahdi Obaidi, Publications of the Syrian General Book Authority, Damascus, 2011.
● The Aesthetics of Space, Yuri Lotman, Ahmad Taher Hassanein, and others, Oyoun for Articles, Casablanca, Morocco, n.d., n.d.
● The Narrative of Literary Texts, Diaa Ghani Lafta, Awad Kazem Lafta, Dar Al-Hamed, Amman, Jordan, 1st ed., 2010.
● The Poetics of the Scene in Literary Creativity, Habib Mounessi, Diwan of University Publications, Ben Aknoun, Algeria, (1st ed.), (n.d.).
● In the Theory of the Novel: A Study of Narrative Techniques, Dr. Abdelmalek Mortad, National Council for Culture, Arts, and Letters, No. 240, Kuwait, 1998.
● Poetic Language and Its Manifestations in the Arabic Novel, Nasser Yaqoub, Faris Publishing and Distribution House, Amman, Jordan, 1st ed., 2004.
● A New Introduction to Philosophy, Abdul Rahman Badawi, Publications Agency, Kuwait, 1st ed., 1975.
● The Literary Dictionary, by Jabbour Abdel Nour, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 2nd ed., 1984.
● A Dictionary of Literary Terms, by Ibrahim Fathi, Arab Publishers Association, Tunis, (n.d.), 1986.
● A Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, by Majdi Wahba and Kamal Al-Muhandis, Lebanon Library, Beirut, 2nd ed., 1984.
● The Feminine of the Novel: Self, Image, Writing, by Yusra Muqaddam, Dar Al-Jadeed, Beirut, 1st ed., 2005.
● The Function of Description in the Novel, by Abdul Latif Mahfouz, Arab House for Science Publishers, Ikhtilaf Publications, Algeria, 1st ed., 2009.